ورفعوا أركانها، وعلّوا بابها، ومدّوا فوقها سقفاً يمنع كنوزها ونفائسها أن تظلّ عرضةً للانتهاب. ولَكَم طالما أعدّوا، وهمّوا بتنفيذ ما ودّوا، ثم كانت تقعدهم عن التنفيذ خشيتهم أن يسخط ربّ الكعبة اجتراءهم على هيكلها العريق بالتغيير. ثم لَكَم طالما تجاذبهم الخوف من سخط ا، والقلق على البنيان المقدّس أن ينهار، فعاشوا ـ من السخط والقلق ـ بين لظى نارين لا تخمدان. * * * واتّفقوا، تعاقد الذهب مع الساعد مع العزم. وتمّ الإعداد، وهمّوا بالعمل الجادّ، وضعوا أقدامهم على أول الطريق. * * * لكنّهم ما كادوا... حتّى حدث ما لم يكن بحسبان. فمن أعالي الجبال التي تحتضن البلدة الآمنة، انصبّ سيل كأنّه طوفان، طغى على البيت الحرام، فزلزل منه البنيان، وهزّ الأركان، وصدع الجدران، وكاد يقتلع الكعبة المقدّسة من الأساس، وهالت النكبة الناس. أفهذا نذير لهم أن يكفّوا تفكيرهم وأيديهم عن بيت ا؟ ألاّ يضيفوا إليه؟ ألاّ يغيّروا فيه؟ أم هي دعوة أن يبادروا فيثبتوا عماده، ويوطّدوا[49] أوتاده، ويدعموا كيانه، ويرسخوا[50] حيطانه، ليصلب ويقوى على مجابهة كرّ[51] السنين؟ * * *